

الوعي...وسقوط التكاليف

الكاتبة: عمرة بنت محمد ١٤٤٢ هـ



لقد خلق الله عز وجل الإنس والجن لعبادته قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، والعبادة كلمة جامعة شاملة لكل ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. ومتى ما كان المرء مسلماً بالغاً عاقلاً فقد أصبح مكلفاً، مطالب بالقيام بالأوامر حسب الاستطاعة واجتناب النواهي ولا يسقط عنه التكليف إلا إذا فقد العقل.

قال النبيُّ ﷺ: ((رُفع القلمُ عن ثلاثٍ: عن الصبيِّ حتى يبلغَ، وعن النائم حتى يستيقظَ، وعن المجنون حتى يفيقَ)). رواه أبوداود والنسائي بسند صحيح والأمر المشترك بين هؤلاء الثلاثة هو غياب العقل ونقص قدراتهم العقلية والإدراكية،



لذلك عد العلماء العقل، مناط التكليف فبه يستطيع الإنسان التمييز بين الخير والشر وبين ما ينفع ويضر؛ ولما كان هؤلاء الثلاثة قد غاب عنهم العقل لصغر سن أو نوم أو جنون فقد رفع عنهم القلم حتى تزول الأسباب.

والقيام بالتكاليف الشرعية من أوامر واجتناب النواهي أمر يحتاج إلى مجهود نفسي وبدني، ويحتاج إلى مجاهدة للنفس وترويضها على أوامر الله قال ﷺ :(حُفّت النار بالشهوات وحُفّت الجنة بالمكاره) رواه مسلم.

فالنفس تحب الراحة والدَّعَة، والتكاليف التعبدية من صلاة وصيام وزكاة فيها مشاق ومكاره؛ لذلك لابد من تخطيها للوصول إلى الجنة، وعدم مدافعة الشهوات المحرمة والشبهات المضلة طريق الوصول إلى النار، والقيام بالأوامر واجتناب النواهي أمر محتم على المسلم البالغ العاقل ولا تخضع لمسألة الاقتناع الشخصي بل المسلم يحمل نفسه عليها حملاً.

لكن يأبى مدربو الطاقة الكونية إلا أن يلبسوا على الناس دينهم ويثيروا الشبهات في قلوبهم، فهذا أحدهم يرى أن القيام بالتكاليف الشرعية واتباع الأوامر واجتناب النواهي يخضع لمسألة (الوعي) حيث يقول " كل أمر سماوي بحسب الوعي الحالي ابتاعك أعمله، ما تخليش حد يركب لك الوعي بتاعه ويخليك تعمله وأنت مش في مرحلة الوعي دي، حيبقى الموضوع ثقيل عليك، حيسؤك حيضايقك".



ولا يقصد بالوعي هنا معناه اللغوي وهو الفهم وسلامة الإدراك، ولكن يقصد به المعنى الفلسفي الباطني حيث يُعتقد أن الإنسان به شرارة إلهية - تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا- وأنه جزء من الإله، وعندما يقوم الإنسان بممارسة تمارين وتدريبات الطاقة الكونية كالتأمل فإنه يترقى ويدرك حقيقته الإلهية. تقول آلس بيلي[١]: (إن تطور الإنسان ليس سوى مرور من حالة وعي إلى أخرى، وهو توسعات متعاقبة، ونمو للملكة الإدراكية التي تشكل الصفة المهيمنة على المفكر الذي بداخلك. إنه التقدم من الوعي المتمركز في الشخصية والذات الدنيا أو الجسد، إلى الوعي المتمركز في الذات العليا أو النفس أو الروح، ومن ثم الوعي المتركز في المطلق أو الروح الكوني، حتى يصبح الوعي إلهياً في النهاية) [٢].

والوعي عندهم مراحل ودرجات استنادًا لمقياس هاوكينز للوعي، وهو مقياس لم يستند لأي دراسات علمية بل بناء على عقيدة وحدة الوجود[٣] التي

[١] أليس بيلي: ١٩٤٩ – ١٨٨٠م هي كاتبة من المملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية . ولدت في مانشستر توفيت في مدينة نيويورك تعتبر من رموز حركة العصر الجديد وأتباع مدام بلافاتسكي، وهي التي حولت أفكار هلينا بلافاتسكي إلى واقع عملي، ألفت أربعة وعشرين كتاباً معظمها كتب في حالة إغماء زعمت أن وسيطها الروحي Djwal Khul أملاها عليها.

[٢] حركة العصر الجديد، د. هيفاء الرشيد، ص ٢٩٣.

[٣] وحدة الوجود عقيدة كفرية حيث يعتقد أصحابها أن الخالق والمخلوق شيء واحد.



يعتنقها واضعه ديفيد هاوكينز[٤]، ويتم قياس هذا الوعي عن طريق علاقة ملابس معدنية أو عصا أو خيط مربوط بطرفه ثقل وهو ما يسمى بالبندول أو الداوزينج.

وكلما ارتفع الوعي اقترب الشخص من الإلهية؛ فيصبح هو المتصرف في حياته وواقعه، فلا داعي للقيام بالتكاليف الشرعية، بل يستطيع أن يعيش نفسه في جنة حقيقية في الدنيا قبل الآخرة بزعمهم.

فكل إنسان ينفذ الأوامر حسب وعيه، فالصحابة ينفذون بوعيهم ونحن ننفذ بوعينا، وكلما تقدمت العلوم والاكتشافات زاد الوعي يقول أحدهم: "الصحابة ينفذون الأوامر بالوعي الذي عندهم ونحن ننفذ بالوعي الذي عندنا".

بل بلغت بهم الجرأة بأن يصرحوا بأنه تم قياس الوعي لما قبل ١٤٠٠ سنة فوجد منخفضًا، وأن السلف وعيهم منخفض.

فالإنسان في زعمهم لو قام بالتكاليف الشرعية -وهو في مرحلة أعلى من الوعي- بسبب تأثير المجتمع أو الوالدين فسيصبح الأمر ثقيل على النفس ويسبب لها الضيق فعليه ألا يقوم بها ويقوم فقط بما يناسب وعيه ومرحلته الحالية، لذلك نلاحظ تغير الكثير من المدربين والمدربات -ممن كان سمتهم

(٤) ديفيد هاوكينز طبيب نفسي أمريكي ومعلم روحاني، يعتقد بوحدة الوجود.

INFO@ALBAYDHA.SA



الصلاح- بعد ترقيهم في الوعي كما يزعمون، حيث نزعت بعضهن الحجاب والبعض يرتكب اليوم ما كان يعتقده بالأمس منكرًا.

وهذا مشابه تماماً لما يعتقده غلاة الصوفية من أن العبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة هي عبادات العوام، وأما الخاصة فبعد وصولهم لدرجة الولاية واليقين وتكشف لهم شيء من أمر الغيب فتسقط عنهم التكاليف ويستشهدون بالآية ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ الحجر٩٩ يقول أحدهم في كلامه عن كتب السلف: "﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ للأسف فسروا اليقين بالموت" وتأول معنى الآية بـ ﴿اعبد ربك لكي يأتيك اليقين﴾، ويقصدون باليقين معرفة الحقيقة الإلهية للنفس.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" قوله: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ قال البخاري: قال سالم الموت.... وهكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وغيره. والدليل على ذلك قوله تعالى إخباراً عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾ المدثر. ويستدل من هذه الآية الكريمة وهي قوله: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في صحيح البخاري، عن عمران بن حصين، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب".



ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم. وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء عليهم السلام، كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد الناس وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة. وإنما المراد باليقين هاهنا الموت، كما قدمناه. والحمدلله على الهداية، وعليه الاستعانة والتوكل، وهو المسؤول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها فإنه جواد كريم".

والحقيقة أن الادعاء بالتطور والترقي في الوعي، إنما هو حيلة من حيل إبليس حتى تألف النفس ترك الطاعة وارتكاب المعصية، فالانتقال من حالة إلى حالة مناقضة لها، أمر شاق على النفس فيحتاج لتدرج؛ لذلك دائما ما يحذرون أتباعهم من الاستماع للمحيطين بحجة أنهم من أصحاب الوعي المنخفض، وبذلك يقطعون عليهم كل طريق يؤدي إلى الاستماع لنصائح المشفقين بل قد يقطع عليهم باب التوبة –إلا أن يتغمدهم الله برحمته-.

وهذا ما هو إلا اتباع لهوى النفس الذي هو سبب للكفر والمعاصي والبدع، لذلك ورد النهي عن اتباع الهوى في الكتاب والسنة، يقول ابن عباس رضي الله عنه: "ما ذكر الله عز وجل الهوى في كتابه إلا ذمه".



قال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [القصص ٥٠]

ذكر الطبري في تفسيره يقول تعالى ذكره: "وَمَنْ أَضَلُّ" عن طريق الرشاد، وسبيل السداد ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله، وعهد من الله، ويترك عهد الله الذي عهده إلى خلقه في وحيه وتنزيله :﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله لا يوفق لإصابة الحقّ وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته، وكذّبوا رسوله، وبدّلوا عهده، واتبعوا أهواء أنفسهم إيثارا منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم."

وقال تعالى: ﴿أَرَءَيتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيهِ وَكِيلًا﴾ الفرقان ٤٣

وقد مدح الله من نهى نفسه عن هواها قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾. قال الشيخ السعدي في تفسيره :(﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل، فأثر هذا الخوف في قلبه فنهى نفسه عن هواها الذي يقيدها عن طاعة الله، وصار هواه تبعا لما جاء به الرسول، وجاهد الهوى والشهوة الصادين عن الخير، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ﴾]المشتملة على كل خير وسرور ونعيم [﴿هِيَ الْمَأْوَى﴾ لمن هذا وصفه).



أما في السنة فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: " أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى "رواه أحمد، وقال ﷺ (والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وهذا قدوتنا رسول الله ﷺ وهو أكثر الناس تقوى وخشية لله، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يصلي حتى تتفطر قدماه، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يصلي حتى تتفطر قدماه، قلت له لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال:" أفلا أحب أن أكون عبداً شكورا؟" متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:" كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر" متفق عليه.

وأخيرًا أوصيكم ونفسي بوصية الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله " فاحذروا رحمكم الله اتباع الهوى والإعراض عن الهدى، وعليكم التمسك بالحق، والدعوة إليه، والحذر ممن خالفه لتفوزوا بخيري الدنيا والآخرة".

اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء.

*هذا المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا يمثل - بالضرورة - رأي الناشر